

## شهر الصبر والرحمة



إِنَّهُ أَنْ تبارك وتعالى لعلمه بما ستجنيه هذه النفس الْأَمَّارَة بالسوء من الموبقات والمذنسات والخبايث، هيأً لها شتى الوسائل لتنوب إلى ربها وتكلفه عن سينتها وتحطى بغرانٍ وجليل رحمته. ومن أهم تلك الوسائل المطهّرة للنفس الإنسانية من الدنس والرجس هو شهر رمضان المبارك بما فيه من إمساك وتسبيح وتهليل وتحميد ومناجاة وتلاوة قرآن وصدقة وإطعام وكفـ النفس والجوارح عن الأذى وكل ما يؤدي إلى التسافل والتدرس. فالصوم نعم المربى وإنْ شهر رمضان المبارك شهر تربية وتركيبة، شهر تهذيب وتنقيف دينيين. فكما أنَّ بعض الأُمم تخصص أسبوعاً لشؤون التربية فتسمى هذا الأسبوع أسبوع التربية أو أسبوع المعارف، كذلك فإنَّه تبارك وتعالى رحمة بعباده قد خصص شهراً لإيمانه والاستغفار وكفـ النفس عن مشتهياتها كي تكمل بالصبر والعزم على اقتحام الأذى. فإنَّ النفوس تقاس بدرجة تحملها النوائب وصبرها على المكاره. لذلك قد جاء في الحديث القدسي أنَّه يقول: "الصوم لي وأنا أجزي عليه" وفي حديث آخر: "عمل ابن آدم له إلا الصيام فهو لي وأنا أجزي به". نعم إنَّه يمتحن عباده بالصبر على البلاء والمكاره لأمررين: أولهما: إنَّ البلايا والمكاره مهدّية للنفس آخذة إياها إلى أرفع مراتب الكمال، ثانيهما: ليكون الجزاء عن جداره ولباقة. وهو القائل: (وَأَنْ لَيْسَ لِإِلَزَّ سَانِ إِلَّا مَا سَعَى \* وَأَنْ سَعْيَهُ سَوْفَ يُرَى \* ثُمَّ يُجْزَاهُ الْجَزَاءُ الأوْفَى) (النجم/41-39). ولا شيء أعلى مرتبة عند الله من الصبر. والصوم تمرين ورياضة على الصبر. فقد قال تعالى كما جاء في الحديث "كلَّ أعمال ابن آدم بعشرة أضعافها إلى سبعمئة ضعف إلا الصبر فإنه لي وأنا أجزي به" فثواب الصبر مخزون عند الله والصبر هو الصوم: وقد روي في قوله تعالى: (وَاسْتَعِذُنُوا بِالصَّدْرِ) (البقرة/45)، أي بالصيام. ولما كان الصوم في الحر أشد لذلك جاء عن الصادق (ع): "مَنْ صام يوماً في الحر فأصابه ظمآن وكَلَّ أَنْ عَزَّ وَجَلَّ به ألف ملك يمسحون وجهه ويبشرونـه حتى يفطر وقال الله عزَّ وَجَلَّ: ما أطيب ريحك وروحك، ملائكتي اشهدوا أنـي قد غفرت له". ومن كلام رسول الله (ص): "الشـقي مـن حرـم غـرانـه في هـذا الشـهر" وإنـما سـمي هـذا الشـهر بشـهر رمضان، لأنـه يرمـض الذـنوب (أـي يحرـقها) كما جاء في الحديث. وفي الإقبال عن كتاب العـجـفـريـات عن الكـاظـمـ عن الصـادـقـ عن زـينـ العـابـدـينـ عنـ الحـسـينـ بنـ عـلـيـ عـلـيـ بنـ أـبـيـ طـالـبـ (عـلـيـهـمـ السـلـامـ) قالـ: "لـاـ تـقـولـواـ رـمـضـانـ،ـ فـاـنـكـمـ لـاـ تـدـرـونـ مـاـ رـمـضـانـ،ـ فـمـنـ قـالـهـ فـلـيـتـصـدقـ وـلـيـمـ كـفـارـةـ لـقـوـمـ،ـ وـلـكـنـ قـوـلـواـ كـمـ قـالـ أـنـ تـعـالـىـ:ـ شـهـرـ رـمـضـانـ،ـ كـلـ ذـلـكـ تـنـوـيـهـاـ بـعـظـمـةـ هـذـاـ الشـهـرـ حـتـىـ سـمـاـهـ أـنـ تـعـالـىـ بـاسـمـهـ،ـ وـلـكـنـ قـدـ وـرـدـ فـيـ بـعـضـ الـأـخـبـارـ لـفـطـ رـمـضـانـ مـجـرـداـ عـنـ لـفـطـ الشـهـرـ وـلـذـكـ حـمـلـ عـلـىـ الـكـرـاهـةـ".ـ الصـومـ زـكـاـةـ الـأـبـدـانـ وـمـطـهـرـ إـيـاـهـ مـنـ الـخـبـائـثـ.ـ فـقـدـ جـاءـ

في الحديث أن "لكل شيء رزكاً" ورزقاً للأبدان الصيام. وما أعظم الخطاب الذي خطب به رسول الله ﷺ (ص) الناس قبيل شهر رمضان المبارك، فإنه مستجمع لجميع الخصال التي يكون بها الإنسان إنساناً كاملاً، إنّه خلاصة جميع الفضائل ودستور جامع لجميع الكمالات. فأين هذا البشر المادي المسكين من التمسك بهذه الفضائل وتتبع هذه المكرمات، ليست الوسائل المادية من النفس الإنسانية وكمالها في شيء. ولا أعلم ماذا ينتظر البشر بعد هذا الدستور الإلهي. فلا دستور بعد دستور محمد ﷺ (ص) وهل يجدون معشار ما في هذا الحديث النبوى من دساتير تكامل البشر في نظريات: دكارت أو اسبينوزا أو مالبرانش أو بركسون أو اسبنسر أو روسو. فقد روى عن الرضا أبيه عن آبائه عن عليٍّ (عليهم السلام) عن النبي ﷺ (ص) إنّه خطب ذات يوم فقال: "أيها الناس، إنّه قد أقبل إليكم شهر الله تعالى بالبركة والرحمة والمغفرة. شهر هو عند الله أفضل الشهور وأيّماه أفضل الأيام وليلاته أفضل الليالي وساعاته أفضل الساعات. وهو شهر قد دعيتم فيه إلى ضيافة الله وجُعلتم فيه من أهل كرامة الله، أنفاسكم فيه تسبيح ونومكم فيه عبادة وعملكم فيه مقبول ودعاؤكم فيه مستجاب. فاسأّلوا الله ربكم بنيات صادقة وقلوب طاهرة أن يوفّقكم لصيامه وتلاوة كتابه، فإنّ الشقي من حُرم غفران الله في هذا الشهر العظيم. واذكروا بجوعكم وعطشكم فيه جوع يوم القيمة وعطشه. وتمدقوا على فقرائكم ومساكينكم، ووقدروا كباركم وارحموا صغاركم وصلوا أرحامكم واحفظوا ألسنتكم وغضوا عما لا يحل النظر إليه أبصاركم وعما لا يحل إليه الاستماع أسماعكم وتحنّنوا على أيتام الناس بتحنّن على أيتامكم، وتربوا إلى الله من ذنوبكم، وارفعوا إليه أيديكم بالدعاء في أوقات ملواتكم، فإنهما أفضل الساعات، ينظر الله عزّ وجلّ فيها بالرحمة إلى عباده وبجيدهم إذا ناجوه ويلبيهم إذا نادوه، ويستجيب لهم إذا دعوه". "أيها الناس إنّ أنفسكم مرهونة بأعمالكم ففكوها باستغفاركم، وظهوركم ثقيلة من أوزاركم، فخفّفو عنها بطول سجودكم، واعلموا أنّ الله جلّ ذكره أقسم بعزته أن لا يعبد المسلمين والصادقين، وأن لا يروعهم بالذمار يوم يقوم الناس لرب العالمين". "أيها الناس من فطر منكم صائمًا مؤمنًا في هذا الشهر كان له بذلك عند الله عتق رقبة ومغفرة لما مضى من ذنبه. فقيل يا رسول الله وليس كلنا يقدر على ذلك. فقال (ص): "اتقوا الذمار ولو بشق تمرة. اتقوا الذمار ولو بشربة من ماء". "أيها الناس من حسن منكم في هذا الشهر خلقه كان له جواز على الصراط يوم تزل فيه الأقدام. ومن خف فيه منكم عما ملكت يمينه خف الله عليه حسابة ومن كف فيه شره كف الله غضبه عنه يوم يلقاه، ومن أكرم فيه يتيمًا أكرمه الله يوم يلقاه. ومن قطع فيه رحمه قطع الله عنه رحمته يوم يلقاه.

ومَنْ نَطَوْعَ فِيهِ بِصَلَةِ كُتُبِ اللهِ بِرَاءَةً مِنَ النَّارِ، وَمَنْ أَدَى فِيهِ فَرْضًاً كَانَ لَهُ نَوَابٌ مَنْ أَدَى سَبْعِينَ فَرِيضَةَ فِيمَا سَوَاهُ مِنَ الشَّهُورِ. وَمَنْ أَكْثَرَ فِيهِ مِنَ الصَّلَاةِ عَلَيْهِ ثَقَلَ اللهُ مِيزَانَهُ يَوْمَ تَخْفَى الْمُوَازِينُ. وَمَنْ تَلَّ فِيهِ آيَةً مِنَ الْقُرْآنِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ مَنْ خَتَمَ الْقُرْآنَ فِي غَيْرِهِ مِنَ الشَّهُورِ". "أيها الناس إنّ أبواب الجنان في هذا الشهر مفتوحة، فاسأّلوا الله ربكم أن لا يُغلّقها عنكم، وأبواب النيران مغلقة، فاسأّلوا الله ربكم أن لا يفتحها عليكم، والشياطين مغلولة، فاسأّلوا الله ربكم أن لا يسلطها عليكم". قال أمير المؤمنين (ع): "فقمت وقلت يا رسول الله، ما أفضل الأعمال في هذا الشهر؟ فقال يا أبا الحسن، أفضل الأعمال في هذا الشهر: الورع عن محارم الله عزّ وجلّ". ثمّ بكى، فقلت يا رسول الله، ما يبكيك؟ فقال يا عليٍّ، لما يُستحلّ منك في هذا الشهر. كأنني بك، أنت تصلي لربك وقد أنبأتك أشقي الأوّلين والآخرين: شقيق عاشر ناقة ثمود، فيضررك ضربة على قَرْنك تختبئ بها لحيتك، قال أمير المؤمنين (ع)، فقلت: يا رسول الله وذلك في سلامه من ديني؟ فقال (ص): في سلامه من دينك ثم قال يا عليٍّ، من قتلك فقد قتلني ومَنْ أَبْغَضَكَ فَقَدْ أَبْغَضَنِي، لَأَنَّكَ مِنِّي كَنْفُسِي وَطَيْنِتِكَ مِنْ طَيْنِتِي... إلى آخر الحديث". ▶